المحاضرة 2: النيايافايشيشكا: "نظرية القياس"

الأهداف المسطرة للمحاضرة:

نريد أن نصل بالطالب إلى معرفة أن هناك نظرية في القياس سابقة لنظرية القياس عند ارسطو، وقد يكون أرسطو على اطلاع عليها وربما استمد منها بعض عناصر نظريته في القياس.

النيايا: في معناها تعني الدليل أو الطريقة أو الأسلوب، الذي يستخدمه العقل للموصول إلى النتيجة الصحيحة أو الحقيقة الكلية كما تدل النيايا على المنطق وهي منطق منسوب إلى شخص يشك في المعلومات عنه، يدعى "غوتاما" وملقب ب "أكشابادا"، وضع هذا مؤلفه المسمى "نياياشوترا" في حوالي منتصف القرن الثاني ق.م أو في ما بين 200 و 450 ق.م

مركزا على – وتبنى النظريات الذرية والفلكية والنفسانية التي وجدها في "الفيشيشيكا"، إلا أنَّ إلحاحه كانالمنطق والمحاجّة، والتفكير الصحيح بل والعادل أيضا.

وتقوم فلسفة "جوتاما" على فكرة الخلاص من قيود الشهوات والغرائز والوصول إلى النرفانا

التي تهدف إلى إخماد هذه الشهوات، وطريق ذلك لا يكون باعتماد الأساليب الروحية التي ترتبط بالآلية، بل يرى أنَّ الخلاص إنَّما يكون عن طريق المنطق ووسيلته في ذلك العقل والتفكير الصحيح

لاشك أنَّ طريقة نيايا تعتبر أقدم طريقة تظهر في مجتمع الجدل المزدهر في الهند القديمة وكان لمقواعد التي وضعتيا أثر دائم عمى التقميد في مجممو، كما أنّيا أسيمت أيضا في قواعد الجدل عمى نحو عام إلى حدّ كبير، إذ أوضحت الأمور التي تجعل الحجة غير صحيحة أو غير مقبولة 2

وقد أسست النيايا المعرفة الصحيحة على أربعة طرق أو وسائل هي "المعرفة الحسية

والاستدلال والمقارنة والشهادة"، والاستدلالات المنطقية عند مدرسة النيايا ثلاثة أشكال

1-استدلال اللاحق من السابق، أي استدلال المعمول من العمّة فيمكن على سبيل المثال أن نستنبط من تجمع السحب أنَّ السماء ستمطر

2- استدلال السابق من اللاحق، أي استدلال العمّة من المعمول فيمكن على سبيل المثال أن نستنبط من غزارة مياه السيل أنَّ السماء أمطرت على الجبال

3- الاستدلال بالتماثل فبما أنَّ ما ندركه في حالة أولى مدرك بالطريقة نفسيا في الحالة الثانية، فإنَّ ذلك يسمح بأن نستنبط أنَّ الأمور جرت بالطريقة نفسيا في الحالة الثانية كما جرت في الحالة الأولى.

وبذلك نجد أنَّ أهم ما تتميّز به هذه المدرسة هو المنطق الذي وضعت قواعده العلمية وأوضحت أقيسته أوشكاله وأبانت الصحيح منها والفاسد، وأعلنت أنَّ الصحة والفساد إنّما يتعاقبان على القياس بتعاقب بعض الأعراض عليه، وهذه الأعراض التي يمكن أن تتعاقب على القياس هي ستة عشر عرضا هي: 1 وسائل التدليل ، 2موضوعات التدليل،3الشك، 4 النية، 5 المثال، 6 المبدأ، 7 البداية، 8 إبطال الحجة بإثبات نقيضيا،

9الجد، 10 الجدل، 11 الخصوصية، 12 التيافت، 13 السفسطة، 14 اللعب بالكلمات

15الاعتراضات الواهية الأساس، 16 مواطن الضعف

كما أنَّ نظرية الاستدلال عند مدرسة النيايا تقوم على الأمرين الأساسين الذين يشكلان محور القياس والمنطق لدى أرسطو، وهما مسألة ترتيب الفكر لأحكامه وانتقاله من حكم لأخر بنوع من التدرج ومسألة اللزوم، واذا كان منطق أرسطو يبنى على أساس الانتقال من مقدمتين ثم النتيجة فإنَّ النيايا تتدرج عبر خمسة مراحل أو أجزاء للقياس هي الفرضية

وهي سبب hetu وهي القضية التي يجب إثباتيا والعلة ، لها هيتوبراتجنا / pratijna أو وسيلة إثبات الفرضية، والأمر المشابه أي المثل على تلك الفرضية المذكورة nigamana (، ثم النتيجة (نيغاماناupanaya (،والتطبيق (أوبانايا)أوداهارانا/ udaharana

التي نبلغها وتكون متعلقة بالفرضية أي القضية المطروحة

وتقودنا هذه الطريقة إلى مراحل خمس هي كالتالي:

أولا: ذكر الأطروحة اللازم إثباتيا

ثانيا: ذكر سبب الأطروحة

ثالثا: إعطاء مثال يمثل قاعدة يمكن الاستناد إليها للمساعدة في إثبات الأطروحة

رابعا: ذكر علاقة القاعدة بالأطروحة.

خامسا: إعادة ذكر الأطروحة على النحو الذي أ ثبتت به

والمثال الذي قدمه "جوتاما" في "نيايا سوترا" هو

1-توجد نار على التل

2-لأنّه يوجد دخان هناك

3-حيثما يوجد الدخان توجد النار كما في المطبخ مثلا

4-يوجد دخان مرتبط بالنار على التل

5- لذلك توجد نار على التل

ومن هذه الطريقة التي تقوم على خمسة مراحل يمكن أن نلمس الأهمية التي تعطيها النيايا للاستنباط، حيث يمكن استنباط وجود النار على التل من خلال الدخان الملاحظ

فإنَّ الحد الثالث في هذا القياس يناظر المقدمة الكبرى « وكما يلاحظ ماكوفمسكي في القياس الأرسطي، والحد الثاني والرابع يناظران مقدمته الصغرى، والحد الأول والخامس يناظران نتيجته، والفارق الأساسي بين نظرية القياس الأرسطية ونظرية مدرسة النيايا أنَّ الأولى تضمنيه تدرج الخاص في العام بينما يقوم القياس الهندي على نظرية اللزوم 2 ، وبهذا يمثل

التفكير الاستنباطي واستخدام البيانات التي ثم التوصل إليها من خلال وسائل الإد ارك السبيل الرئيسي للتوصل إلى معرفة مؤكدة بالنسبة للنياياكما مّيزت فلسفة النيايا بين نوعين من التفكير:

الأول: الذي يقنع به المرء نفسه، وهذا النوع الأول يمكن فهو استبعاد الخطوة الأولى والثانية أو الخطوتين الأخيرتين أي الرابعة والخامسة

الثاني: الذي يحاول به الإنسان إقناع إنسان آخر، وفي هذا النوع الثاني الذي نتوجه به لإقناع فرد آخر فإنّه من الضروري أن نلتزم بالخطوات الخمسة الموضحة في المثال السابق وهو الوصول إلى الاستدلال على وجود نار على التل.

كذلك من المواضيع المنطقية التي اهتمت بها مدرسة النيايا الأخطاء التي يمكن أن يقع فيها الفكر، وقد قام فلاسفة النيايا محاولة منهم لتجنب هذه الأخطاء بإعداد قائمة من الأفكار أو الأخطاء الشائعة التي ينبغي تجنبها، ومن بين هذه الأخطاءالأفكار التي تخرج عن الموضوع و التي تتناقض والتي تخرج عن السؤال المطروح والأفكار التي تحتاج التي إلى برهان عليها، والتي تأتي في غير مناسبتها، وتدرس هنا أيضا:

المراوغات الفكريةوالمقارنات، والجدال، والمغالطة، والتناقض والاستدلال الاستنتاجي والاستقرائي، وفي المعرفةاللفظية أو الشهادة حيث يحلل الكلام ومعنى الكلمة واشارتها إلى فرد أم إلى نوع وقد أدت التطورات الحاصلة في النيايا من خلال الد راسات والشروحات لتصبح أكثردقة، حيث أدخلت تنظيمات وإعادة النظر على طرائقها في التفكير والجدل والبرهنةوالاستنتاج

واذا كانت نظرية "غوتاما" في القياس الخماسي قد هيمنت على المنطق الهندي

بأسره، فقد استبعد تيار أخر من المنطق الهندي حدين من حدود القياس الخماسي بردّه

إلى ثلاثة، وقد تمثل هذا التيار بالبوذيين الذين نقدوا خماسية القياس التقليدي على أساس

وجود رابطة غير قابلة للفصم بين الحد الأكبر والأوسط ولهذا كان القياس القائل بوجود نارفي الجبل لوجود دخان فهو، قابلا للاستغناء في رأيهم عن المثل كما أنَّ الهنود مع مدرسة الميمانزا قد اختصرت القياس في ثلاثة أطراف سواء الثلاثة الأولى أو الثلاثة الأخيرة، وفي هذا الشكل الأخير أصبح القياس منتظما.[1]

أما بالنسبة لدهارماكيرتي فقد وصل عنده المنطق البوذي إلى ذروته حيث اعتبر أنَّ

القياس يكفي فيه وجود قضيتين فقط، بما أنَّ النتيجة موجودة في المقدمتين فيكفي أن نقول

مثلا "حيث لا يوجد نار لا يوجد دخان، وفي هذا المكان دخان" والقياس ذو القضيتين عند

دهارماكيرتي هو بعينه ما يسميه المنطق الصوري القياس المضمر[2].

بناء على ماسبق نلاحظ أنَّ المنطق الهندي في تطوره التاريخي قد اتجه نحو التقليل

من عدد قضايا القياس، وهذا إن دلَّ فإنّما يدل على تطور المنطق في الهند، فمن ست

---

[1]- محمد حسن، تيا ا رت الفلسفة الشرقية، مرجع سابق، ص 946

[2]- سو باميمتون، الفلسفة الهندية، تر: صفية مختار، م ا رجعة، عبد العزيز غانم، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ط1 ص9

قضايا في القياس ردّه غوتاما إلى خمسة ثم مع البوذيين الذي بدورهم نقدوا خماسية القياس التقليدي عند غوتاما وأرجعوه إلى ثلاثة حدود وهذا ما تبنته مدرستا الميمامساوالفيدانتا، ثم التطور الذي عرفه القياس مع دىارهاكيرتي الملقب بأرسطو الهند والذي يرى أنَّ القياس لا يلزمه أكثر من حدين، وهذا التطور الحاصل في نظرية القياس عند الهنود إنّما يدلّ على الاهتمام الكبير الذي أولاه الهنود للمنطق ومحاولة تطويره عبر العصور.

وهكذا يتضح أنَّ القياس الأرسطي الذي يعتبر أساس المنطق عند أرسطو كان معروفا عند الشعوب القديمة، حتى أنّه يمكن اعتبار القياس الهندي الذي يتأسس على خمسة مقدمات هو في الحقيقة الأصل الذي قام عليه القياس الأرسطي فيما بعد، والفرق الوحيد بينهما هو أنَّه إذا كان المنطق الأرسطي نظريا بحثا فإنَّ المنطق الهندي أكثر ارتباطابالواقع.

ثانيا : المنطق الأرسطي النشأة والتطور